الفصل الثالث

أسس ومرتكزات فلسفة تربية المقاومة لدى سارتر.

- ✓ أولا: وجودية سارتر(السارترية).
- ✓ ثانيا: سارتر وحرية الإنسان.
- ✓ ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر.
- ✓ رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم.
- ✓ خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية.

obeikan.com

obeikan.com

يناقش هذا الفصل أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات لتربية المقاومة لدى سارتر. والتي تم مناقشتها في إطار"وجودية سارتر- مفهوم سارتر عن الحرية والإنسان - سارتر وقضية الالتزام - فكر المقاومة عند سارتر- المعيار الأخلاقي".

أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات "لتربية المقاومة" لدى سارتر:-

انشغل سارتر بعديد من قضايا عصره إلا أن القضية الرئيسة التي كانت تدور في محورها كل القضايا في فكر سارتر هي:"كيف ينخرط المرء عن أصالة وثقة في العالم التاريخي الواقعي"(أرونسون ، 2006 ، 130-131). وقد اتضح ذلك من خلال فلسفته والملامح الأساسية لفكره كما جسدها شخصيات مسرحياته كأورست في الذباب.

أولا: وجودية سارتر(السارترية).

اهتز العالم أجمع لمولد وجودية سارتر خاصة بعد أن تخطت مبادئها وأصولها نطاق الفلسفة إلى نطاق التجربة والتطبيق الاجتماعيين... إذ صار اسم الوجودية محدودا بالنسبة إلى السارترية في موقفها الجديد الأعم كنظرية معرفة أخلاقية عن المجموعات تضم الماركسية بين طياتها وتزيد عليها. وإذا كان هناك وجودية محدودة ووجودية عامة ، فالوجودية العامة هي السارترية بالمعنى المفهوم اليوم في عالم الفلسفة والفكر (الديدى ، 1971 ، 26). فسارتر قد انطلق في الأساس من الفكر الوجودي وأضاف إليه فكره وتصوراته الخاصة. هذا وذهاب سارتر للبحث في الماضي البعيد لا لكي يقف عنده وإنما ليجد فيه العبرة أو أن يجد فيه

تفسير لما تبعه من أحداث ، فقصة أصل وجود الإنسان حددت الرغبة لديه في الكتابة (*Couprie, 1996, 56*).

يرى الديدي أن السارترية ولدت بالضرورة وجودية إذ حققت لها هذه الولادة ارتباطها بالحياة والإنسان وبنظرية العلوم والاجتماع وبالفلسفة وبالتقدم وبعامة الناس على وجه الخصوص. فكانت أول فلسفة تمثل روح العصر وتواصل تيار الفكر الاشتراكي وتتخطى عوامل التخلف والجمود وتعين على تدعيم الثورية المعاصرة وتحافظ أساسا على معنى الحقيقة الإنسانية والحقيقة المعرفية الخالية من أغراض التحزب والانتفاع والتواطؤ أو التغاضي الطائفي (الديدى ، 1971 ، 27).

وقد استطاع سارتر من خلال إدارته لمجلة العصور الحديثة أن يجعل منها منبرا عالميا عاليا في وقت وجيز. وأن يتكلم عن الفلسفة الوجودية في كل مكان وتعاون معه في تلك المجلة "سيمون دي بوفوار" ، و "موريس ميرلو بونتي" المدير السياسي للمجلة ، حيث أصدر عام 1946 محاضرته المشهورة عن الوجودية نزعة إنسانية(الديدي ، 1971 ، 28). أخذ سارتر في اعتباره أن الأفكار مرهونة بلحظتها الزمنية وحرص بالتالي على أن يترك نسقه الفكري مفتوح الجوانب قابلا للزيادة والإضافة والتغيير والتبديل والتطور والنماء. ومن هنا صارت نسقية سارتر ظاهرة عصرية جديرة بالالتفات (*Couprie, 1996, 56*). فقد تكون تلك السمة في فلسفة سارتر التي أضفت صفة العصرية والاستمرارية والتجدد لتلك الفلسفة والتي لم تنلها أي فلسفة من قبل.

وقد أثر يتم سارتر مبكرا على فكره ونظرته لنفسه وللإنسان وكان يتمه هذا جعله ينظر للناس جميعًا على أنهم أيتام وأن الناس متروكون ومهجورون في هذا

obeikan.com

العالم. وأن دور السارترية نقدي إيجابي نحو معرفة الإنسان ، وفضلا عن ذلك تسعى السارترية إلى تأكيد نوعية الحدث التاريخي إنها تسعى إلى إرجاع وظيفته وأبعاده العديدة إليه (الديدى ، 1971 ، 31 -34).

كما أن منهج البحث السارتري وصف بأنه "منهجًا ارتداديًا تقدميًا تحليليًا تركيبيًا. فهو منهج ذهاب وإياب يستمر في التزايد والوفرة بين الموضوع (الذي يشمل العصر كدلالات متدرجة) والعصر (الذي يضم الموضوع في شموله)" (الديدى ، 1971 ، 37).

وفي أعمال سارتر التي حاول فيها محاولة المصالحة بين الوجودية والماركسية يعيد سارتر فحص أنواع أساسية عن التجربة الإنسانية ليصل إلى فهم الإنسان ففي الحين الذي يوفره لنا النقد الحديث من أمور هامة ، إلا أنه يتركنا أيضًا في وضع غير مقبول يفتقر إلى مبرر قوى للأحكام الأخلاقية والأحداث السياسية وغير قادر على التعميم حول التجربة الإنسانية... إلا أن أي إنسانية جديدة يجب أن تأخذ في الاعتبار نقد صحيح للإنسانية الماضية تقوم على أمور عدة فيها فهم المصير الإنساني المشترك الذي لا يتجاهل أي اختلاف (*Butterfield, 2004, 290*) وتتضمن عناصر المصير الإنساني المشترك إعادة التفكير في علاقة الفرد والمجتمع والنظرة على الدستور الاجتماعي للفرد ، ونظرة جديدة لفهم الحرية والضرورة في التجربة الإنسانية وإعادة النظر في الهويات الاجتماعية... وبعدها نرى ما هي المشكلات التي تظل متأصلة في العلاقات الإنسانية وما هي الاحتمالات؟ هل قدر لنا مناوبة ومحايدة التفاعلات مع الآخرين أم أن الحب والتعاون هما أصيلان ومحتملان أيضا؟ (*Butterfield, 2004, 294*)."والإنسان كائن ذو دلالة بالنسبة إلى

نفسه وبالنسبة إلى الآخرين ، وهو خالق علامات ورموز حيث يسبق نفسه دائما حين يستخدم أشياء معينة ليشير بها إلى أشياء غائبة أو مستقلة... إن كل شيء له معنى في كل لحظة وتكشف لنا الدلالات الناس والعلاقات القائمة بين الناس خلال أبنية مجتمعنا ولكن هذه الدلالات لا تظهر لنا إلا بمقدار ما نكون نحن أنفسنا قادرين على الدلالة وعلى إعطاء المعنى (الديدى ، 1971 ، 38 - 39). إن الوجودية بجميع مدارسها تقوم على فكرة أن الوجود متقدم على الماهية ، ويترتب على ذلك مسئولية الإنسان التامة عن مصيره ، ومصير الإنسانية جمعاء ؛ لأنه إذ يختار لنفسه يختار للناس أجمعين. وكذا يكون الإنسان في قلق دائم ، لأنه عندما يختار لنفسه يشرع للناس أجمعين من ثم لا يستطيع الفرار من المسؤولية (سارتر ، 1967 ، 15).

ويرى سارتر أن الإنسان هو الكائن الذي يكون دائمًا أكبر من نفسه فهو الكائن الذي لا يكون على ما هو عليه ولا يكون إلا ما ليس بنفسه. ويعترض هيدجر على هذا التعريف ويعارضه على أساس أن هذا التعريف فيه تجريد وفيه تحديد مسبق لطبيعة الإنسان في حين أن الإنسان لا يكون سوى وجوده (الديدى ، 1971 ، 113). وكأن هيدجر يقرر أن سارتر تناقض مع نفسه في تلك النقطة لأن سارتر ينكر وجود طبيعة للإنسان" (خضر ، 1998 ،340).

إن الفلسفة الوجودية على اختلاف اتجاهاتها قد اتخذت من الإنسان هدفًا للدراسة وتلك سمة أصيلة تميز الوجودية عن غيرها من الفلسفات الكبرى ، فوجود الإنسان في العالم وما يعترض هذا الوجود من قلق ، وهم ، واغتراب ، هو العامل المشترك بين تلك الفلسفات. ومن مبادئ الوجوديين العامة أن الوجود سابق على

Obeikan.com

الماهية ، وهذا فارق عام بينهم وبين ما سبقهم من الفلاسفة. وقد عبر "الديدى" عن الوجودية بأنها "فلسفة ديناميكية ترمى إلى تنمية الواقع وإثرائه وتطويره... وهي الفلسفة التي تضع الوجود الفردي مع كل حقيقة أخرى وتفترض الكيان الفردي كأساس مبدئي لتفسير كل مظاهر الموجودات الماثلة. أو لعلها لا تفسر شيئًا بقدر ما تسعى لتقرير وضع حقيقي قائم وهو أن الوجود الذاتي هو أغلى وأثمن جوهر داخل إطار الإنسانية وفي معاشنا الأرضي"(الديدى ، 1971 ، 7). فالوجودية فلسفة إنسانية ديناميكية ترتبط بالواقع وتسعى إلى تطويره. وقد قنع بها كثير من رواد الفكر العالمي والعربي كتوفيق الحكيم والعقاد وغيرهم ، إذ كان لها حضور عربي واضح خاصة في فترة حياة سارتر.

ثانيا:سارتر وحرية الإنسان(تحتاج عمق بربطها بالمقاومة)

- **ثلاثية "الوعي – الحرية- المسئولية".**

عندما يقرر سارتر الحرية نجدها مرتبطة بشكل واضح بالوعي بل يراها هي نفسها وعي ، ولا حرية دون تحمل مسئولية الاختيار الحر ، وتلك الأمور تمثل مضامين وأهداف تربوية كبيرة يقع مسئولية تحقيقها على عاتق التربية إذ منوط بها تحقيق إنسانية الإنسان.

يقول سارتر لتكون حرًا ، تكون حرًا في الاختيار ، فالحرية بالنسبة لسارتر تعنى اختيار الهدف الذي يصبح إطارا مرجعيا نفسر به العالم من حولنا. ولكن هذا الهدف لا يمكن أن يكون موجودا إلا في العالم الواقعي. وهذه الحالة للحرية هي التي تجعلها ممكنه (*Buchan, 1996, 199*). وقد حدد (*Jiang1995*) مفهوم الاختيار الحر لدى سارتر من خلال تحليله لمسرحياته في أربعة جوانب هي الحتمية والحقيقة

obeikan.com

المطلقة ، والنبل والعدالة ، والنشاط والمادية ، الآلام أو المعاناة مع الاختيار(*Song, 2007, 293*).

عندما أراد سارتر البحث عن الاختيار الأصيل الذي يرشد الإنسان إلى الهدف الأساسي لوجوده ، فهو يسعى إلى الأمر الذي يجعل من الإنسان كائنا متفردا. أى أنه وصف الرجل الذي يعنى بالمقارنة مع الآخرين بأنه ليس إنسان حق (*Goff, W.D., 372*). كما يعنى سارتر بالاختيار الحر *Free Choice* بأن الحياة لا يوجد لديها معنى متسام وأنه يتطلب أن يمنح الإنسان معنى بواسطة عمله خلال الاختيار الحر. فلا يوجد إنسان يولد بطلا أو جبانا لكنه نتيجة لما يملك من اختيار. وسارتر دائمًا يأخذ الحرية الفردية كنقطة انطلاق لرحلة الحرية (*Song, 2007, 289*).

الإنسان في نظر سارتر قيمة مطلقة من حيث هو حرية ، ووجود الإنسان هو حريته في الاختيار والحرية هي وجود الإنسان. ولا وجود للحرية إلا في موقف ولكن لا يمكن أن يوجد الموقف بغير الحرية. ولهذا لا يمكن أن تبعث أية حقيقة سابقة على تأسيس الاختيار (الديدى ، 1971 ، 56). ويقول سارتر "إنني مدان أن أكون حرًا" لكن هذه الحرية التي يدان بها الموجود البشرى لا يعيها ولا يدركها إلا ويصاب بالقلق. فالقلق هو شعور مقترن بإدراك الوعي لحريته أو أن القلق هو كيفية وجود الحرية الواعية بوجودها. وهذا هو ما يعنيه سارتر بقوله "في القلق يثار أشكال وجود الحرية بالنسبة لذاتها" (سارتر ، د.ت ، 122).

ويرى الشاروني أن سارتر ربط بين الحرية ووعى الإنسان ، فالحرية السارترية تريد الإنسان حرا لأن يختار أي سلوك يحدد به ماهيته ، وتريده في نفس

Obeikan.com

الوقت ملزمًا على أن يمارس هذه الحرية ليخلق ماهيته الخاصة دون أن يجد أمامه سلسلة من القيم أو الأنظمة تستطيع تبرير سلوكه فهو وحيد ليس أمامه أو وراءه في مجال القيم غير مبررات أو أعذار.. ومع ذلك فهو مسئول عن كل ما يفعل لمجرد ارتمائه في العالم" (الشارونى ، 1963 ، 125). فيقرر سارتر مسئولية الفرد المطلقة عن كل أفعاله بالرغم من النظام الخارجي والظروف الوشيكة (*Minahen, 1991, 529*). وهنا قد يظهر تناقض إذ كيف يكون الإنسان مسئولا ويستشعر قيمة المسئولية والالتزام وكذلك فعل الاختيار ويخلق ماهيته ، في نفس الوقت في حاجة إلى التحرر من القيم والمعايير الأخلاقية لمجرد أنها تمثل أعذار ومبررات حتى يحقق ما سبق؟

وتتدخل المسئولية في العمل الأخلاقي الوجودي تدخلا حاسمًا وأن الوعي والحرية يعطيان معًا وجنبًا إلى جنب معنى للإنسان ولا يمكن أن يدرك الإنسان معنى ذلك إلا إذا شهد كما شهد سارتر مأساة الحرب بصورتها البشعة الأليمة (الديدى ، 1971 ، 57).

الحرية قرينة كل وعى إنساني ، فالوعي الإنساني هو نفسه الحرية (الديدى ، 1971 ، 64). أنطولوجيا يرى سارتر الوعي على أنه إدراك لمسألة الوجود لأن الوعي لا يتحد مع ذاته ولم يدعى أو يقول سارتر الوجود في ذاته... وأن الوعي دائما مبرزا لذاته... ومتجاوزا للأوضاع الموجودة (Sartre, 1956, 24). وقد تساءل سارتر في مرحلته الأولى ككاتب وفيلسوف بعد سنة 1938 عن معنى الحرية التي كان يؤكدها في كل لحظة. لابد من الحرية . هكذا قال . ولكن لماذا؟ ماذا نفعل بهذه الحرية؟ (الديدى ، 1971 ، 64). الحرية في نظام سارتر الفلسفي ، لا توجد كنقطة

بداية فقط ، بل توجد على المستوى الأخلاقي أيضا ، كهدف يجب الوصول إليه ولا يكفي الإنسان أن يكون حرا،بل يجب أن يتحمل مسؤولية حريته(أسعد ، 1987 ، 247).

فالحديث المجرد عن الحرية لا معنى له ، فالحرية ترتبط بكل ما هو عياني فيقول سارتر: "ولما كان الإنسان محكوما عليه أن يكون حرا فإنه يحمل على عاتقه عبء العالم كله أنه مسئول عن نفسه بوصفه حالة وجود ، فكل شيء يجرى إذن كما لو كنت مرغما على أن أكون مسئولا" (الصباغ ، 1981 ، 224-225). وقد اتضح مفهوم سارتر للحرية أثناء الاحتلال ، حيث استطاع أن يقرب الحرية من القدر لأن الإنسان ، كما قال في "الوجود والعدم" ، محكوم عليه بالحرية فالحرية قدرة حتى عندما يتخلى عنها ، يفعل ذلك بحرية(أسعد ، 1987 ، 247).

يقول سارتر:"إنني أفقد ملكيتي لكلماتي بمجرد أن أتكلم كما تفقد هذه الكلمات انتماءها إلى ولن يعود بوسعي أن أتحكم في مسارها بعد أن أتفوه بها" وهذا هو ما حدا بسارتر إلى قوله أن الإنسان حينما يحاول التواصل مع الآخرين أو حتى بمجرد أن يصبح مرئيا أو مسموعا من سواه يفقد جزءا من ذاته ليصبح هذا الجزء منتميا إلى سواه... "إنني حين أتكلم لن أصبح نفسي بل سأغدو الآخر بالنسبة لك وسوف تغدو الآخر بالنسبة لى... أن وجود الآخر هو الذي يجعلنا نتحول دائما إلى موضوعات ، بعد أن كان كل منا ذات" (*Lecherbonnier, 1972, 15*) ويتضح من حديث سارتر في مواضع كثيرة أن حرية الفرد عنده ليس لها من معنى إلا في حدود اعتداد الفرد بحرية الآخر وهذا ينطوي على مضمون تربوي مهم.

لذا يقول وجود الآخرين هو الذي يسلبنا حريتنا الكاملة إلا أنه الذي يعطى المعنى لحريتنا ، ويستخدم مصطلح الغيرية "*autrui*" للدلالة على ذلك (دي كرستى ميونج ، ب.ت. ، 102).

ويؤكد سارتر أن الحقيقة هي التي تصنع إنسانا حرا ويؤكد معه أيضًا سان جون *St.John* ذلك من خلال تأكيدهما على الحقيقة التي يتم ممارستها وليست الحرية النظرية... فيقول سارتر أنا أرغب في الحقيقة لأنني ثوري بطبيعة الحال(*Thomas, w.d ,462*).

إلا أن الإنسان عليه أن يدرك الحرية هي نفسها الوعي الذي يلازم وجوده ويقترن بكل أوجه معاشه. تلك هي الرسالة والفعل الذي أراد سارتر أن يقدمها إلى الإنسان بربطه تحقيق الإنسان لوجوده ووعيه بقدر تحقيقه لحرية نفسه.

ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر:

إن المقاومة كفكر وفعل قد ارتبطت بحياة الإنسان منذ وجوده في هذا الكون فهو يفكر بشكل فطري كيف يقاوم الظروف البيئية والحيوانات المفترسة والكوارث الطبيعية وغيرها عبر العصور المختلفة. وعلى مستوى العلاقات الدولية تطرح مسألة المقاومة /الخضوع الاستسلام وتحت مسميات متنوعة طبقًا لقناعات كل طرف. وعلى المستوى الشخصي تأصلت مقاومة الإنسان فيزيقيًا وانفعاليًا وسياسيًا فقد يقاوم خطر ما يحيق به ، كأن يدفع عن نفسه أذى الآخرين بكل أشكاله ، ويدافع عن وجوده ضد تهديدهم. ويقاوم وقت الحرب والطغيان على الوطن ، فيتم طرح خيار المقاومة كعمل مشروع ضد أي عدوان يستهدف حرية إنسان أو وطن أو شعب ما. وتظل المقاومة حق لكل إنسان ولكل دولة لدفع ظلم

أو طغيان وقهر أي مستبد. هذا وتتنوع أساليب المقاومة فقد تكون مقاومة فكرية وثقافية ، أو مقاومة فيزيقية ، كما تتعدد القضايا والأفعال التي يجب مقاومتها ، كمقاومة التخلف بسلاح العلم والبحث العلمي والتكنولوجي ومقاومة الاستبداد بكشف آلياته..وهكذا.

ويمكن استجلاء المقاومة في الفكر الوجودي من خلال استقراء بعض الأفكار والسمات الرئيسة للوجودية من خلال فلاسفة الوجودية "مارتن هيدجر- كارل ياسبر – كيركجورد – غابرييل مارسيل – ألبيير كامو – جان بول سارتر وغيرهم" من هذه السمات "وجود الإنسان سابق على ماهيته "وأن "الإنسان محكوم عليه بالحرية" واهتمامها بذات الإنسان وواقعه العياني ومشكلاته خاصة تلك التي ترتبط بالوجود البشري كالحرية والمسئولية - مما يضع الإنسان في قلب المقاومة - أكثر من اهتمامها "بالموضوع" والوجود المجرد. واهتمام الوجودية بذات الإنسان وصفها بأنها فلسفة إنسانية واتضح ذلك في إسهاماتها في التحليل النفسي والوجداني للإنسان وما يعتريه من هم وقلق دائم وغيرها من أمور تجعل الفرد في حالة من التوتر مما يفرض فكرة المقاومة. كما اتضح في كتابات "سارتر" في المرحلة الأولى من تطوره الفكري والذي يستدعي الاختيار "الحر" وما يرتبط به من مسئولية تحمل تبعات هذا الاختيار ليس لنفسه فقط بل للآخرين أيضا. وفي إطار هذه الأفكار تتبدى المقاومة لدى الإنسان لتأكيد ذاته بإثبات حريته. وهناك نقطة محورية عن "المقاومة" لدى الفكر الوجودي لا يمكن تجاهلها ؛ تلك التي ترتبط بالفترة ما بين الحربين العالميتين ، والأزمات الروحية التي عاشها الإنسان في تلك الفترة والشعور باليأس والقلق وكان ذلك جليًا في فرنسا بسبب هزيمتها

Obeikan.com

أمام ألمانيا مما رسخ لفكر المقاومة وصعود حركاتها. وبالطبع كان سارتر في قلب هذه الأحداث انفعل بها وشارك فيها ودعا إلى الانخراط في الواقع حيث التجسيد الحي للمقاومة وتربيتها.

ويمكن رصد أهم الأفكار والمرتكزات الأساسية التي شكلت فكر سارتر عن المقاومة ، من خلال رصد مفهومه عن "**الحرية ، والالتزام ، والمسئولية**" وسعي الإنسان الدائم لتحقيق ذاته وتقرير مصيره بنفسه وإيجاد المعنى لوجوده. كما كان لمفهوم سارتر عن"**الزعيم**"ودوره بالنسبة لنفسه وللآخرين ، ركيزة من ركائز المقاومة لديه ، حيث يرفض التراتبية ، ويطرح فكرة "السيادة المشتركة" كما أوضحها في بعض أعماله كالأيدي القذرة والورطة والذباب. فسارتر يؤكد ضرورة وجود الزعماء واتهم الشعوب بأنها هي التي تتخلى بإرادتها عن السلطة ، لذا طرح فكرة السيادة المشتركة لجميع الأعضاء ليعطى الإمكانية لكل فرد من أفراد الجماعة بأن يصير "الثالث المنظم" حيث يستطيع كل فرد أن يكون التعبير والوسيلة للفعل من هنا يعرف سارتر الزعيم:"بأنه هذا الثالث المنظم الذي لا يستغنى عنه وهو شخص يعيش حريته ويعبر عن رغباته وإرادته ويحتفظ بحقه ، وهو حق للجميع لكنهم يتخلون عنه ويعتبرون أنفسهم حريات ثانوية متواطئة مع الزعيم" (حرب 1994 ،141-144). ويعتقد البعض أن سارتر يتأرجح بين ضرورة الزعيم الذي يدافع عنه من جهة وضرورة أن يؤكد كل إنسان حريته برفضه لكل أنواع العبودية ويلخص سارتر هذه الإشكالية في تحليله لبعض الموضوعات: "الزعيم وقيمه جدلية السيد والعبد ، جدلية الزعيم والتابعين ، ... وإذا كان الزعيم يناضل فإن نضاله هو نضال جميع الأعضاء ، وكل الذين يمثلونهم "المضطهدين" (علي والقفاش ، 25،2001)

obeikan.com

وفي ظل تلك الفكرة يظل الإنسان في نظر سارتر مسئول عن فعله وعما سيؤول إليه حتى لو كان عبدًا ، فإنه "حر بأن يكسر قيوده فيقول سارتر:إن الخضوع السلبي لا وجود له ، فليس هناك إلا حالتين ؛ خضوع أو تمرد ، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يكون سلبيًا" (حرب ، 1994 ، 145 -146) ويبدو أن مفهوم سارتر عن الزعيم لا يعبر عن استئثاره بالفعل والحرية بل أنه يمتلك سيادة مشتركة مع الحشود وبالتالي فإذا لم يعبر عن ذلك بموضوعية سيتم الاعتراض عليه ومقاومته. وهنا يبرز فعل المقاومة وضرورته. فإذا نظرنا لصورة "الزعيم"كما قدمه سارتر في الذباب "أورست" فإنه الذي حمل على عاتقه التخطيط للمعارضة ومقاومة الطغاة مع حث الشعب عليها ، وحق تقرير مصائرهم بأنفسهم بامتلاك حرياتهم فاستحق أن يكون مناضلا. وعلى العكس من ذلك لم تستطع الكترا أن تكون مناضلة لأنها لم تمتلك إرادة الفعل. كما أن فكرة **"الصراع"**- التي تمثل محور أساسي في الاتجاه النقدي الذي ينتمي إليه سارتر ومنهجه في الحياة- مثلت مرتكز أساسي في فكر المقاومة لدى سارتر. هذا بالإضافة إلى أن سارتر عرف معنى **"الرفض"** ودلالاته بالنسبة إلى الحرية. كما مثلت فكرته عن **"العنف"** أيضا جزء من الإطار العام في فكر المقاومة لديه. فترى **"سعاد حرب"** : "أن العنف لدى سارتر يبقى واقعًا ومفهومًا جوهريًا ، ونتيجة للواقع الإنساني حيث يرى أن كل فلسفة ثورية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار واقع تعدد الحريات ، وأن تظهر كيف أن كل فرد بصفته حرية بالنسبة لذاته ، عليه أن يكون موضوعًا وشيئًا بالنسبة للآخر. وهذا الطابع المزدوج للحرية والتشيؤ هو ما يستطيع أن يشرح مفاهيم جد معقدة كالصراع والفشل والعنف"(حرب ، 1994 ، 137).

حاول سارتر تأكيد المقاومة ومجابهة العقبات والحواجز إذ أن ذلك هو الذي يصنع ذواتنا: فيقرر في حديثه عن الحرية أن الأفراد يواجهون باستمرار بالحواجز والمقاومات في العالم لكن هذا وحده هو الذي يبلغنا المعنى عندما نفسر لأنفسنا السعي لتحقيق أهدافنا... نحن نستطيع صنع وإبداع وإعادة إبداع أهدافنا ، وكذا المعنى ، والقيم ، وإمكانية إعادة صياغتها للتأكد منها والتأكيد عليها(*Buchan, 1996, 199*). فقد عرف سارتر معنى الرفض ودلالته بالنسبة للحرية. وعرف جوهر الحرية وغايتها القصوى التي لا يمكن أن يحرم منها الإنسان إذا قال "لا" ، وظلت هذه الخاطرة هي المبدأ الأساسي في مفهوم سارتر عن الحرية فالحرية سالبة في جوهرها على الرغم من أن سلبيتها خلاقة مبدعة. وكلما ظل الإنسان محتفظا بوضوح الوعي مهما كانت درجة انقفاله وانحصاره فهو يظل قادرًا على أن يقول "لا" ولا تزول الحرية إلا إذا ضاع الوعي أي عندما يصبح الإنسان غير قادر على الاستمرار في إنسانيته ومواصلة وجوده كإنسان حر قادر (الديدى ، 1971 ، 59).

وعندما ينبئنا سارتر بواقعية الحرية ، فهي ليست مجرد تصور ذهني مطلق بل ترتبط بالواقع وتكتسب منه: الحرية إذا راعينا الدقة في التعبير "لا وجود لها" بل تكتسب في موقف تاريخي خاص (سارتر ، 2005 ، 75)فإن ذلك يعني تجسد أفعال المقاومة على أرض الواقع من أجل الوصول إلى تلك الحرية كما حدث في مقاومة المحتل النازي. فقد عقد العزم أثناء الاحتلال الألماني على تشكيل فريق للمقاومة. وشارك الأعضاء العمل على طبع وتوزيع منشورات مناهضة للألمان. إلا أن خطوات الفريق قد تعثرت لأسباب تحالف دولي وغيرها. والمؤكد يقينا أن سارتر قد فعل كل ما في وسعه في ضوء ما تسمح به حياته المألوفة. هذا وتوحد سارتر مع المقاومة

وارتبط بأعضاء أكثر نشاطا ، وساهم بين الحين والآخر بمواهبه كما شارك في الاجتماعات. ولكن الأهم أنه واصل الكتابة دون اعتبار لظروف الاحتلال (أرونسون ، 2006، 46 -47) فالتزم ككاتب ومواطن في مقاومة المحتل فقد وجد كثير من النقاد في مسرحية "**الذباب أو الندم**" لسارتر أنها مثالا ممتازًا للمقاومة ، بل أصبح سارتر رمزا للمقاومة الثقافية في العقد الذي تلا الحرب مباشرة (أسعد ، 1987 257). في إطار الاقتناع الصادق أكد سارتر عقب التحرير مباشرة: "إن خيرنا هو من انخرط في صفوف المقاومة لإنقاذ البلاد" وقد تحدث بذلك ليس باعتباره عضوا في المقاومة ، بل باعتباره "**كائنا مقاوما**" وعبر عن فكرة المقاومة لديه أيضًا مؤلفه الذي صدر في الولايات المتحدة عام 1947 يحمل عنوان "**جمهورية الصمت**" يشير إلى نجاح سارتر في تحقيق ذلك. (أرونسون ، 2006 ، 57).

وإذا كان سارتر قد تعلم كثيرًا من فلسفته باعتباره تلميذا للفلاسفة الألمان الأساتذة فكان عليه أن يتعلم دروسًا أخرى من تجربة انتصار الألمان إذ يقول"إننا لم نكن إطلاقا أكثر حرية مما كنا عليه في أثناء الاحتلال الألماني ، لقد فقدنا جميع حقوقنا ابتداء من حق الكلام وكل يوم نهان في وجوهنا وعلينا أن نتقبل هذا في صمت ، فلقد كنا نستعبد بالجملة عمالا أو سجناء سياسيين لسبب أو لآخر وبسبب كل هذا نحن أحرارًا لأن سم النازي شبع في أفكارنا ، أن كل فكرة صحيحة انتصار.. وكل واحد منا يعرف حقيقة المقاومة يسأل نفسه في قلق ولو عذبوني فهل سأتمكن من أن أظل صامتًا" (كرانستون ، 1981 ، 18). إنه مهما كانت إرادة المحتل قوية وصلبة فإنها ليست سوى إرادة إنسانية ، تستطيع أن تقف ضدها إرادة إنسانية أخرى دون أن تسقط في نفس الوقت في غير المعقول. ذلك هو معنى إبعاد

"أورست" لجوبيتر في مسرحية الذباب (جانسون ، 1967 ، 223). ويقول سارتر "أن ماهية الكائن البشرى معلقة بحريته ، وأن ما نسميه حرية هو إذن لا يمكن تمييزه عن وجوده " (الشارونى ، 1963 ، 115).

"والنتيجة الجوهرية لملاحظاتنا هي أن الإنسان لما كان محكوما عليه أن يكون حرا فإنه يحمل على عاتقه عبء العالم كله" (سارتر ، د.ت ، 52). وهنا يضع سارتر الإنسان أمام المسئولية الكاملة بوصفه حالة وجود ، وتتضح العلاقة بين كون الإنسان حرا وكونه مسئولا ومقاوما.

- **المقاومة في مسرحية الذباب:**

مسرحية الذباب ما قيل عنها أنها مسرحية "مقاومة" أراد بها سارتر أن يسند أعمال رجال المقاومة ضد المغتصب النازي من قتل وتخريب ، وضد حكومة فيشي الفرنسية ، وأن أهم رسالة تقدمها المسرحية هو رفض سارتر الذنب والتوبة لآن ذلك يخدم المغتصبين. وحين يتيح سارتر لأورست أن يقتل الملك المغتصب والأم الخائنة ، ولو كان ذلك ضد قوانين مجتمع أرجوس ودين أهلها ، كأنه يبرر أعمال رجال المقاومة الذين لم يكونوا يقتلون الغزاة النازيين فحسب ، بل أيضا معاونيهم من الفرنسيين وأنصار حكومة "فيشي الفرنسية" وشدد على أن بقاء المناضلين وفعاليتهم يتطلب التضامن معهم (القصاص ، 1967 ، 38-39).

طرح سارتر في مسرحية الذباب التأكيد الأول لحرية جذرية تتجسد مرة واحدة في فعل وتظل بلا شرط فحرية أورست-رمز عضو حركة المقاومة- هي حرية بالنسبة له وهو يعتبر وجوده بالنسبة للآخرين غير جوهري. أن تجسيد الحرية في الذباب يظل هكذا على مستوى مجرد. وإن كانت الوجودية إنسانية مناضلة

obeikan.com

حسب وصف سارتر لها أمام الشيوعيين في نهاية عام 1944 ، فقد أصبح لازما إن عاجلا أم أجلا الحكم عليه في ضوء دعوته "العمل ، والجهد ، والكفاح والتضامن"(أرونسون ، 2006 ، 130).

هذا وقد ربط سارتر بشكل أصيل بين المقاومة والحرية في المسرحية ذلك أن أورست جسد الحرية التي ينتابها الملك أنه يقتل ليهرب من الملك... أن أورست كان يحلم بأن يجسد حريته. وأن "إلكترا" التي تحلم بالانتقام أوحت إليه بالوسيلة وكان عالم ما بين الحربين التافه هو الملك في نظره. أن أورست سوف يكون عضو حركة المقاومة ، ولسوف يشعر هكذا بحريته (جانسون ، 1967 ، 221 ، 222) يقول سارتر: "قد تعتبر الحرية لعنه ، ولكنها كذلك المصدر الأوحد لعظمة الإنسان" (جانسون ، 1967 ، 234). ولقد تجسدت فكرة الحرية والمقاومة في مسرحية الذباب حيث عاد أورست إلى أرجوس مسقط رأسه غنيا موفور الشباب غزير المعرفة حرا مطلق الحرية ، وقادرا على الاشتباك في أي التزام جديد وظهرت أخته إلكترا لتحثه على الفعل الحقيقي وينتقم ويقضى على الخائنين وما قدرته إلكترا حققه أورست. وفي حين انصرفت إلكترا إلى الاستغفار والندم توجه أورست لشعب أرجوس وأبلغه أنه خلصه من الإثم وبعد ذلك مضى واختفي. فهل أراد سارتر بنهاية المسرحية نقد أعضاء حركة المقاومة أنفسهم في الواقع الفرنسي آنذاك. إذ انصرفوا بعد التحرير إلى حيث أتوا دون مشاركة فعلية في نظام الحكم في فترة ما بعد الحرب؟ أم أن الذي أراده سارتر كما يقول الديدي: أن اختفاء أورست بعد فعلته لأنه أصبح في النهاية هو نفسه. "الفعل الحر هو الذي يحقق للشخص كيانه فيجد نفسه ويلتقي بها ويصير في النهاية نفسه"(الديدى ، 1971 ، 75 ، 76) وإن كان سارتر

قد أعطى معنا للحرية في مسرحية الذباب من خلال فعل أورست يشعرنا بالازدواج حيث حرية أورست هنا مجرد خضوع للقانون واستقبال الموقف مع الرضا عنه. فقد عاد أورست إلى أرجوس مسقط رأسه حاملا على أكتافه مسئولية مصيره. فإذا به هنا رجل يسعى في عودته ، مثقلا بمعنى آخر للحرية واختلفت وجهات النظر حوله.

والواقع أن هذا الغموض والازدواج في فكر سارتر يرجعه الديدي إلى أن الالتزام والتمرد عنده بعدان ضروريان للحريات. ولما لا خاصة إذا كانت الأوضاع الاجتماعية والقانون يكرسان الظلم والقهر. وإذا كان لهذا دلالته فهو ينم عن أن الحرية الحقيقية مجالها العمل و الفعل في سياق تاريخي معين ، لا مجرد تصورات وتأملات ذاتية ، تلك الحرية التي تقوم على الالتزام. وإذا كان الأمر كذلك فكلاهما- الحرية والالتزام- يستند إلى معايير أخلاقية قبلية وهذا يتناقض مع فلسفة سارتر الأخلاقية كما أشار البحث من قبل.

في الواقع أن القوة لا تعبر فقط عن السيطرة بل تعبر أيضا عن المقاومة. وبين المقاومة والسيطرة مسافات من القوة تسمح لفرد أو جماعة ما التعبير عن ذاته وإحداث حالة ما من التغيير ينطوي على درجة ما من التحرر في إطار جدلي والذي يعكس في هذه الحالة صورة عن المقاومة. وبناء على ما سبق فإن فكر المقاومة عامة يشير للحاجة إلى الفهم الجيد لطبيعة العلاقة بين الجماعة المهيمنة والجماعة الخاضعة على أنها علاقة جدلية كما أشار إلى ذلك "هنري جيرو" في عرضه للافتراضات التي يبنى عليها فكر المقاومة فيقول:"العلاقة بين الفعل الإنساني

والبنى المسيطرة علاقة جدلية"(*Geroux, 2001, 108*). والذي يسهم في فهم الفرق بين المقاومة والعنف وغيرها من المفاهيم المرتبطة بمفهوم القوة.

وإذا انتقلنا من مقاومة العنف والاستبداد إلى مدى إقرار العنف وضرورته فإن سارتر أكد ضرورة المقاومة وظل قانعا بذلك عبر مراحل تطوره الفكري. أما بالنسبة لاعترافه باللجوء للعنف ، فكان رافضا تماما للعنف ولكن في ظل الدمار الذي أحدثته الحرب وفي ظل الظلم والقهر الذي فرض على الإنسان تحت وطأة الاحتلال ، غير سارتر من نظرته في استخدام العنف.

كان سارتر يقر بأن اللجوء إلى العنف يمثل دائما انتكاسة ، وبعد ذلك يغير فكره وقال: "ربما يكون صحيحا أن استخدام العنف ضد العنف لا يؤدي إلا إلى استمرار العنف ، ولكن بالرغم من هذا يكون العنف هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء العنف...وأنه لا عدالة من دون عنف. وبعد أن كد سارتر واجتهد لشق طريقه أكد أنه من الاستحالة أن ينعم العالم بالسلم والنور دون الإطاحة بهياكل القهر والظلم الاجتماعيين ، من ثم أعلن أن الشر والعنف عند الضرورة ، خير ايجابي (أرونسون 2006 ، 132-301). لكن ما حدود هذه الضرورة ومن الذي يقر بأنها ضرورة أم لا. فقد يستخدم المحتل أو أي مستبد وظلم للعنف ويقدم ما يعله ضرورة بالنسبة له لاستلاب الآخر. فكيف برر سارتر العنف وخاصة العنف الذي يحمل بعض الخير في المستقبل... إن فكر سارتر وكتاباته عن أخلاقيات العنف ، واحدة من أعظم أعماله والتي لم تنشر في حياته ، وهى مذكرات عن الأخلاق كتبها أواخر عام 1940. وقد طرح "سانتونى" *Santoni*. وهو واحد ممن كتبوا عن سارتر. أسئلة تتعلق بهذه القضية على تفكير سارتر بشأن العنف منها: "ما المعايير الأخلاقية التي تمكننا أن

نقرر ما إذا كان استخدام العنف مشروع ومتى يكون غير ذلك؟ وكيف يكون للعنف الجسدي مبررًا أخلاقيًا يهدف إلى تدمير بنى اجتماعية وسياسية واقتصادية لدى الإنسان ، ورأى "سانتونى" أن موقف سارتر كان متناقضًا تجاه استخدام العنف حيث لم يقدم الحجج التي تبرر الاستخدام الصارم للعنف (*Arthur, 2007, 231-232*).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الفكرة هو كيف تستقيم تربية المقاومة مع العنف ، وكيف يكون العنف خيرا؟

في ظل الفكرة القائمة بان العنف هو نفسه وسيلة للقضاء على العنف ، فمن الممكن القول بأن: هناك ما يسمى المقاومة الإيجابية ، تلك التي تسمح باستخدام العنف لإيقاف العنف من قبيل الدفاع عن الذات سواء الذات الفردية أم الجمعية، كالدفاع عن الوطن ، من ثم يكون العنف فعل إيجابي، أما العنف للعنف وللطغيان على الآخر وسلبه حريته ، والاستيلاء على ممتلكاته أو على مقدرات وطنه ، كما يفعل المحتل ؛ يصبح العنف شرًا محضًا ويجب مقاومته.

وقد فسر "سانتونى" بعض التميزات المفيدة بين القوة والعنف لدى سارتر في مذكراته فبين كيف أن فكرة العنف محاولة لسرقة الحرية. واتضح ذلك في كتاب "**نقد العقل الجدلي**" وأن سارتر ركز على مفهوم "العنف المضاد" وأعمال العنف والقهر الناجمة عن النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية واتضح ذلك من خلال تبرير سارتر المقاومة الجزائرية للمحتل والعنف المضاد (*Arthur, 2007, 233*). وحينما شارك سارتر بكتاباته ، واشتراكه في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة أيضا باسم التحرر الوطني ودعم حركات المقاومة المناهضة للاستعمار في جميع أنحاء العالم. فقد قدم سارتر نموذجا للفيلسوف الذي جمع بين الأدب والفكر ونجح

openkan.com

في تحقيق جماهيرية محلية وعالمية في ذات الوقت (*Lévy, 2003, 19*). في الواقع هناك اشتباك واضح بين المفاهيم السابقة أي بين "المقاومة والعنف والعنف المضاد" ، كل منهم يحتاج إلى التبرير فلماذا يقاوم الإنسان؟ ويقاوم من؟ وكيف يقاوم؟ والإجابة عن تلك الأسئلة تحمل في طياتها مبررات المقاومة وشرعيتها ذلك لأن المقاومة هي الأخرى تحتمل العنف لصد الظلم والعدوان والمحتل واستبداده إلخ. وبالنسبة للعنف فهو أيضا يحتاج إلى مبرر أخلاقي (رفض العنف لمجرد العنف) وألا يكون العنف لقهر إرادة الآخر والاستيلاء على أرضه أو حريته إلى غير ذلك ، وبناء عليه فهناك مبرر للعنف المضاد. هذا ويشتبك مفهوم "الجهاد" كمفهوم إسلامي والذي يسعى من خلاله المسلم الدفاع عن الدين ومقاومة العدوان على الإسلام والمسلمين وعن أوطانهم ورفع كلمة اللّٰه. وإن كان يختلط الأمر في العصر الراهن لدى أعداء الإسلام بطرح ولصق "الإرهاب" بديلا ظالما للجهاد في الإسلام.

وفي إطار هذه الآراء عن العنف والمقاومة والعنف المضاد كتبت كثير من المؤلفات تحتوى هذا الفكر مثل "**لا ضحايا ولا جلادون**" عام 1946 لكامو ، وردت مجلة الأزمنة الحديثة على هذه المقالات بعنوان مغاير.. كلنا جلادون ومجني عليهم"..وغيرها من المقالات (*Arthur, 2007, 231-238*). وعندما يقرر سارتر بأن: "الحرية ليست في ذاتها مسألة اختيار ، إنها ما لا يمكن اجتنابه ، وهى جوهر وجود الإنسان". "أن أكون يعنى أن أفعل ، ونحن دائما نختار كيف نفعل". فيقول كان التساؤل الأساسي للحرية قائما أمامنا لقد وصلنا إلى أعمق معرفة يمكن أن تتكون لدى الإنسان عن نفسه. ليس سر الإنسان عقدة أوديب أو عقدة الدونية، بل حدود حريته ، ومقدرته في مواجهة العذاب والموت" (كرانستون ، 1981، 19) فإنه يقرر

المواجهة التي تعني الإرادة الإنسانية المقاومة. وفي إطار ما سبق يتضح أنه في تلك الفترة من حياة سارتر كان هناك معنى أعمق للمقاومة ، والاحتجاج في بقاع عدة من العالم ، مرجعها أطر فكرية وفلسفية وأدبية متباينة إلا أن المؤكد في القضية هو ترسيخ فكر المقاومة.

تأسيسا على ما سبق يمكن إيجاز الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها فكر "سارتر" في تربية المقاومة في الآتي:

أ- الإيمان القوي بالإنسان وحريته وقدرته على تغيير الأوضاع من حوله ، وأن الوعي حرية يدفع الإنسان إلى تقرير مصيره بنفسه.

ب- تأكيد الحرية في "الاختيار الحر".

ت- امتلاك إرادة التغيير وحق الرفض وإمكانية قول "لا" وهو يعني أيضا حالة من الاختيار" الحرية".

ث- امتلاك إرادة المقاومة "الفعل" وتحديد المصير"حيث فعلي هو حريتي".

ج- "القصدية" بتحديد الأهداف من وراء الفعل.

ح- الالتزام الذي يرتبط بالمسئولية عن الفعل وتبعاته.

خ- تأكيد طبيعة العلاقة بين الكلام والفعل والكلام الذي يعنيه الصمت.

د- تأكيد الذات في إطار من الوعي النقدي.

هذا وإذا كانت أشكال المقاومة تتنوع بين مقاومة فكرية ثقافية ، وبين تحويل هذا الفكر وافتراضاته عن المقاومة إلى واقع فعلي. فإن ذلك يتطلب أساليب، وأدوات معينة لتحقيق هذه المقاومة من هذه الأساليب لدى سارتر: المقاومة بكشف تناقضات الموقف ، بالوعي النقدي للأساليب الديكتاتورية ، من خلال

obeikan.com

الحث الدائم على مواجهة الاستبداد ، وبالكشف عن أدوات الهيمنة للسلطة المستبدة ، بالتحرر من الخوف ، وبالخيال الذي يهدي إلى تحقيق ماهية الإنسان والتساؤل الدائم عن ما يفعله الإنسان ليحقق وجوده والذي يكشف أمامه آفاقًا رحبة عن الحياة والكون وعن ذاته.

هذا وقد تناول "سارتر" بعض التحديات التي تواجه المؤسسات ، ومنها المؤسسات التعليمية التي تحتاج إلى تأصيل تربية المقاومة لديها ، حيث تتبع تلك المؤسسات عادة النظام السائد المسيطر في المجتمع وتعكس خطاب السلطة. مما يسهم في تشكيل متعلم يخدم مقتضيات الواقع المجتمعي وإيديولوجيه السلطة القائمة (*Gordon & Gordon, 1996, 245*). وتبرز فكرة المقاومة في تحليل "سارتر" للعلاقة بين المؤسسات التعليمية والسلطة وتأكيدها على المضامين الطبقية للمعرفة المدرسية وما تحمله المناهج وأساليب التعامل الرمزي داخل المدرسة وسلطة المعلم. ومن ثم تبيان كيف يستلب الوعي عبر آليات وأساليب معينة كسيادة التعليم التلقيني والافتقار إلى الحوار والحرية في العمل وإعداد المتعلم لحياة غير الحياة الواقعية "تغريب المتعلم". مما يؤكد على ضرورة أن يكون هناك دورا تربويا مقاوما للمؤسسات القمعية من أجل بناء الذات الحرة. وهذا يتفق مع هدف التربية الوجودية عموما ، حيث توافر المناخ الحر للمتعلم للقيام بالأعمال التي تحقق ذاته.

في ذات الوقت الذي يؤكد فيه كل من "جيرو ، وسنانلي": أن المدارس تمثل ساحات للتنافس لا تتميز فقط بالتناقضات البنائية والإيديولوجية ولكن أيضًا بالمقاومة الجماعية النشطة من جانب الطلاب. وبالطبع يحدث الصراع والمقاومة في إطار علاقات غير متكافئة للسلطة والتي دائما ما تكون في صالح الجماعات

السائدة ، ولكن النقطة الأساسية هي أن هناك مجالات معقدة وإبداعية للمقاومة تقوم من خلالها الممارسات المرتبطة بالطبقة والعرق والنوع في كثير من الأحيان برفض ونبذ الرسائل الأساسية للمدارس(*Stanley&Giroux , 1993, 67-68*) والمتأمل لفكر المقاومة لدى "سارتر" يرى أنه جعل من هذا الفكر ضرورة إنسانية ترتبط بحرية الإنسان وكرامته وضرورة لتحقيق ماهيته وذاته الحرة ومقاومة كل ما يحول دون تحقيق ذلك. هذا مع إقراره بإمكانية المقاومة والتغيير بتحقق الحرية الإنسانية(علاقة جدلية) وهذا يتطلب إنماء للوعي بأشكال وآليات الهيمنة ليس فقط على المستوى النظري ، ولكن أيضًا بالانغماس في الفعل.

وتكون **نربية المقاومة** طبقًا لفكر المقاومة لدى "سارتر": هي جملة الأفعال التي تتحقق بها الحرية والوعي لدى الإنسان ومن ثم تحقيق ماهيته وفق إرادته أي امتلاك الإنسان لمصيره ومسئوليته عن نتائج أفعاله ، ويرنو بنزعته الإنسانية لمناهضة ما يشوه وجه الحياة من مظالم ومظاهر لا إنسانية على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية ، والثقافية ، والتربوية.

رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم:

طرح سارتر أفكاره عن الالتزام من خلال تحديده لما يجب أن يكون عليه الكاتب فعندما تحدث عن الكاتب الحر وأنه وسيط أعظم فإن التزامه يكون في وساطته هذه. وأن الكاتب مسئول ومسئوليته هي التي تجعله يتخذ موقفًا محددًا، طارحًا خلفه مظاهر الضعف. ويسمى الكاتب "ملتزما" حين يجتهد في أن يتحقق لديه وعى أكثر... عندما ينقل لنفسه ولغيره،ذلك الالتزام(الصباغ ، 1981 ، 217).

obeikan.com

ويرى "مونجان" أن الالتزام ليس مجرد استدعاء للقيم ، أنه بالتحديد مفهوم يجب أن يتجسد في حين يرى "بول لويس لندسبورج" *Paul Louis Landsberg* وهو ذو خلفية فينومينولوجية لجأ إلى فرنسا هربًا من الخطر النازي يرى أنه يجب علينا أن نتعلم الالتزام بقضايا ليست بالضرورة نموذجية مثالية وما هو محل الخلاف هنا هو فكرة أننا نتوافر على قيم نعمل على تطبيقها من أعلى ، ويجعلنا نتساءل عن ما هي معايير الالتزام حينما نكون في حالة من عدم التوجيه التام وحينما تتجاوزنا الأحداث؟ (مونجان ، 2003 ، 87).

أي أن معنى الالتزام يكمن في (الفعل) ، وتحمل المسئولية ، والمعيار الذي يحدد هذه المسئولية يستوجب تحديد معيار الالتزام (الصباغ ، 1981، 218).هذا وإذا كانت القراءة في نظر سارتر إبداع موجه مكمل لعملية الكتابة ، وحرية القارىء فإن الأدب كما يفهمه لا يجعل القارىء يقبل المضمون رغم أنفه ، لكن نتيجة لجمال الأسلوب (أسعد ، 1987 ، 244). لذا وضع سارتر قواعد ومعايير للالتزام في نفس الوقت الذي لم يكن في الوجودية مذهب إنساني يجعل للأخلاق وجوداً قبلياً... وهنا يتناقض سارتر مع نفسه ، فعدم وجود أخلاق قبلية يعنى ألا يقوم الالتزام. لذا فإن نظرية سارتر في الأدب الملتزم يرى البعض أن "فيها من الدعوة والنداء أكثر مما فيها من الدراسة والاستقراء" (الصباغ ، 1981 ،219- 220) والمقصود هنا طالما أن الالتزام يتطلب معايير وقواعد فإن هذا بدوره يستلزم وجود أخلاق قبلية في الوقت الذي ترفض فيه فلسفة سارتر وجود الأخلاق القبلية ؛ لذا قضية الالتزام عند سارتر بالتالي تتعارض مع فلسفته الأخلاقية.

obeikan.com

لكن رغم هذه التناقضات في محاولة سارتر فرض معايير على الالتزام ترفضها فلسفته فإن سارتر في طرحه لمفهوم الالتزام يبقى معلقا أهمية الكاتب وقيمته على المسئوليات التي يضطلع بها ، والتي تعتبر المشكلات الاجتماعية والسياسية في مقدمتها (الصباغ ، 1981 ، 220). وترتبط الحرية وتتشابك بالالتزام كما يراها سارتر "إذا كان هناك التزام فأنا مجبر على إرادة حرية الآخرين في نفس الوقت الذي أريد فيه حريتي" (*Sartre, 1946, 83*). إن الاعتراف بالآخر الشكل الأكثر عمومية الذي ينظم الالتزام ، خاصة حينما يتعلق الأمر بالخصم: فيتساءل بول ريكور: إلى أي مدى يمكن أن اعترف بالآخر الذي قد يكون خصمي؟ ويلاحظ أن مسألة الالتزام تضعنا في مواجهة مأزق حقيقية وهى المأزق الأخلاقية الراهنة. إذ لا يتعلق الأمر أولا بسؤال القيم ، وإنما بالمواقف الأخلاقية الداعمة للقيم (مونجان ، 2003 ، 88).

وهذا يطرح نفس القضية فيما يتعلق بالإنسان في أي موقع في الحياة وفي المجال التعليمي يجعلنا نشير إلى المعلم والمسئوليات المنوطة به في المنظومة التربوية والتعليمية وكيف يكتسب المعلم مكانته الضائعة من خلال القيام بمسئولياته التربوية والتعليمية.

إن حديثنا عن سارتر يستدعي دائمًا شخصية فلسفية أدبية أخرى وهو "**البير كامو** "فهما القطبان النقيضان اللذان حددا اختيارات جيلهما ، تميز كل منهما بموهبة بالغة العظمة ، والاستغراق في العصر إلى أعمق الأعماق ، والالتزام السياسي على أشد وأحكم ما يكون... حيث وضع كل منهما وجهة نظرة بقوة

وجلاء" (أرونسون ،2006 ، 302). فكانت لكل منهما و جهة نظر بين الإصلاح والثورة والعنف واللا عنف ، موقف الفنان وموقف الفيلسوف . المتمرد والثوري .

وقد كان القطبان النقيضان" **كامو وسارتر**" داخل دائرة الحرية والتحرر ناقشنا في عالمنا العربي باسميهما وفي ضوء أفكارهما معاني جديدة ، كالالتزام المسئولية ، والأصالة ، والثقافة والحياة ، والإنسان موقف ، والإنسان فعل واختيار حر... (أرونسون ، 2006 ، 2). وغيرها من أفكار جديرة بالدراسة والتأمل ، وهو ما يفرض علينا بعد هذا النقاش تحويل تلك النصوص وغيرها من كنوز الفكر و الأدب العربي والعالمي إلى ثقافة اجتماعية راسخة وإطار فكرى وتربوي فاعل للتغيير ومرجعية للتفكير لإثراء تجاربنا الإنسانية الراهنة والمستقبلية.

وهو ما يقودنا بجرأة إلى المراجعة النقدية لثقافتنا ومواقفنا وإنحيازتنا لنكتشف من نحن؟ فهذا سبيل من سبل الوصول إلى الحقيقة إلى حيث الطريق للحرية ، وبناء الإنسان المقاوم.

- **الالتزام والمسئولية (المشاركة والفعل):**

قدم سارتر أيضًا فكرة الالتزام والمسئولية والتي تدور في فلك الفكرة الرئيسة وهي فكرة المقاومة. كان لسارتر دعوة شهيرة إلى الالتزام بتلك الدعوة ارتبطت فلسفته وعبرت أيضا عن سارتر في أوجه بلاغته. إذ رفض فكرة الفن للفن باعتبارها شكلا من أشكال اللا مسئولية. ووضع بحسم الأفراد ، خاصة الكُتاب في عالمهم التاريخي ثم دعا إلى الأدب الملتزم فيقول (أرونسون ، 2006 ، 81):

"لما كان الكاتب لا يملك وسيلة للهرب ، فإننا نريده أن يستوعب زمانه بقوة وإحكام.... ليس لنا غير هذه الحياة لنحياها ، وسط هذه الحرب وهذه الثورة ربما

obeikan.com

وكي يكون لك حق التأثير في المناضلين يجب عليك أولا أن تشاركهم نضالهم" ويرى أرونسون أن نداء سارتر من أجل الالتزام كان بصدد الانتقال إلى السياسة...كأنه نوعًا من المدخل إلى السياسة ويقرر سارتر أن كل كلمة لها نتائجها المترتبة عليها وكل صمت كذلك" ، "وعلمنا الاحتلال الشأن الذي يعنينا وحيث أننا نعمل في زماننا وفق وجودنا ذاته فإننا نقرر أن عملنا هذا سيكون عمديًا وعن قصد وإرادة" (أرونسون ، 2006 ، 81- 92). إذا فالمسئولة حرية وحرية الكلمة والكتابة موقف ملتزم كما أن حرية الإرادة أساس التحرر، الالتزام حرية كما أن الاعتراف بالإثم والندم والتوبة تحرر، من ثم فالحرية جوهر وجود الإنسان.

وأضحى نداء سارتر على الفور قضية ذائعة الصيت وشرع منذ مطلع عام 1947 في تطوير تبرير تاريخي وفلسفي وسياسي أكثر إفاضة لمعنى الأدب الملتزم "ولما كان سارتر وجوديا فقد اهتم بأشكال أخرى من الكتابة بخلاف الدراسات الأكاديمية العادية وهذا أمر طبيعي وكان أول اختيار له هو الرواية وقد ذكرت سيمون دي بفوار في مقال لها بعنوان (**الأدب والميتافيزيقا**) أن الفيلسوف الذي يعترف بالذاتية والزمانية يصبح فنانًا وأديبًا" (كرانستون ، 1981 ، 8). من ثم كان هذا حكمًا من شريكة حياته ، بأنه فيلسوف يمتلك مقومات فنية عالية وأديبًا مرموقًا وملتزمًا.

خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية.

يؤكد سارتر دائمًا على ضرورة ربط الكلام بالفعل وقد اتضح ذلك بشكل جلي من خلال فكرته عن الحرية "**فعلي هو حريتي**" ، ومن هذا المنطلق أيضا نجد أن الأخلاق في نظر سارتر "فعل أخلاقي ، ومعيار الفعل الأخلاقي هو إحساس المرء

بأن الموت أهون من عدم هذا الفعل ولابد للفعل الأخلاقي من الارتفاع إلى مستوى القضية العامة في اختيار الشخص لسلوكه في موقف محدد وأن ينطلق بحكم مؤداه: الموت أفضل من أن أشهد كذا ومن أن يقع كذا..."(الديدى ، 1971 ، 56) لقد سعى سارتر إلى أن يستبعد كل مرق التوابل الميتافيزيقية في عودة إلى الواقع الفظ للوجود ، التجربة التي هي تجربة الحرية ، إذ تكشف لنا التجربة المباشرة العالم ليس باعتباره واقعة موضوعية فظة ، وإنما باعتباره عالمنا وهدف رغباتنا وطموحاتنا ، وأشواقنا. وليست علاقتنا بهذا العالم من ثم محددة بالعالم وإنما باختيارنا للطريقة التي نرتبط بها بالعالم باعتبارنا كائنات واعية...الواجب الأخلاقي للفرد هو ببساطة أن يؤكد وجوده كفرد في مواجهة العالم ، وأن يرفض الخضوع لأي حتم خارجي أخلاقي أو طبيعي. لقد تم تقويض كل استمرارية للمعنى والتاريخ ، ودوام القيم الثقافية. فالحياة بهذه اللحظة والوعي بهذه اللحظة غير مقيدين وغير قابلين للتنبؤ (كلارك ، 2015 ، 32-33). **وقد اتضح ذلك أيضًا في علاقة الفرد والمجتمع عند سارتر:**

فيرى سارتر :أن الفرد ديكارتي ، بمعنى أنه هو محدد بنقاء وحرية وعيه. إنه العقل الواعي الذي يفرض معنى على التجربة بدمج التجربة في كل ذي معنى وهذا الوعي متعال ، غير مقيد بأي مطلقات طبيعية أو أخلاقية ، قادر على رفض أي قسر من الطبيعة أو المجتمع...فإن المجتمع بجهازه الهائل من القيود الأخلاقية متمثل في قطب الموضوع ومنتقد من قطب الذات المتعالية (كلارك ، 2015 ، 31-32).

إن المبادئ الخلقية ليست من صنع قوة خفية أيا كانت ، وإنما الإنسان هو الذي يصنع قيمة الخاصة به: "فالقوانين الخلقية تقدم على أساس ما يتخذه المرء

من قرارات في الحياة ، ولا تستمد من أي إلهام غيبي، ويبالغ سارتر في القول بضياع الإنسان وهجرانه في عالم يخلو من فكرة ربط القيم الخلقية بوجود الإله وتعرضت هذه الفكرة للنقد من قبل نقاد المذهب الوجودي " (القصاص،1967 ، 37). إذ أن سارتر يقرر أن الأخلاق وليدة الموقف والتجربة ، من ثم ليست لها علاقة بالدين أو التاريخ أو الثوابت والمعايير المعدة مسبقا. فمصدر الأخلاق هنا الإنسان نفسه في الموقف والخبرة المعاشة. وهذا يتعارض مع بعض الأنساق الفكرية ، بل ومجريات الأحداث على مستوى الواقع المعيشي ، إذ تشتق أخلاق الناس من ثقافة المجتمع ودينه وأعرافه وغيرها. وهنا لا يتفق البحث الحالي مع سارتر إذ أن الأديان تمثل أحد أهم المصادر للأخلاق وهى ثوابت لا تخضع للأهواء.

يرى (جانسون) أن الأخلاق الأساسية في مسرحية الذباب قد ذكرها سارتر في إحدى مقالاته حيث كتب "الحرية الإنسانية لعنة ، لكن هذه اللعنة هي المصدر الوحيد لنبل الإنسان" (جانسون ، 1967 ، 157). ويبدو أن هذا التناقض الكبير فيما تفعله الحرية بالإنسان مرجعه نظرة سارتر المطلقة عن الحرية وللإنسان (الفرد) في اختياراته. وتستطيع التربية الخروج من هذا التناقض بمؤتلف جديد يضع الأسس الاجتماعية للحرية في الاعتبار تلك التي أهملها سارتر(التي تعني خلق من أخلاق الحرية ومن ثم أخلاق المقاومة). هذا والأخلاق الوجودية لا تبدأ من جملة أحكام وقواعد أنها لا تفرض أي مبادئ أو مناهج أو معايير. كل ما تبدأ عنده هو التجربة نفسها ، لذا فهي ترى أنه: "على المرء أن يكتشف طريقه من خلال تجاربه ، وكما يفطن الطفل مرة بعد مرة إلى أن النار تحرق وأن الثعبان يلدغ

obeikan.com

يفطن أيضا إلى الندم ، وإلى إحساس يبلغ مستوى الذنب "(الديدى ، 1971 ، 57).

وهنا يهمل سارتر أمران مهمان هما : -

الأول: أن الطفل الذي يترك ليعرف طريقه بنفسه عن طريق تجاربه وبحريه مطلقه قد تتعرض حياته في بعض الأحيان للخطر.

الثاني: أنه إذا تعلم الإنسان من خلال تجاربه فقط يعني ذلك على المستوى "الميكرو" إهمال الإفادة من تجارب الآخرين ، وعلى المستوى"الماكرو" إهمال التاريخ والتراث وهي مكونات مهمة في تشكيل هوية الإنسان ، يستمد منها بعض قيمه ومحددات وجوده ويهتدي بها في مسيرة حياته ، خاصة إذا اعتبرنا أن الحاضر ما هو إلا لحظة جدلية بين الماضي والمستقبل.

ومسرحية الذباب تعرض أيضًا بعض المشكلات الأخلاقية الأخرى التي تظل بلا جواب ، فقد أطاع أورست دوافع الانتقام وقتل المغتصب وقتل الأم الخائنة ، وفي النهاية يترك أرجوس. وربما كان الجواب في أن مسرحية الذباب يجب قراءتها على أنها مسرحية مقاومة. وقد وجه النقد للمسرحية وخاصة لموقف أورست في مغادرته للمدينة بعد قتل المغتصبين وأن ذلك لا يفسر إلا في أنه يسعى للخلاص الشخصي . وباستقراء ما سبق عن فكر سارتر فيما يتعلق بالعلاقة الفرد/ الجماعة يبدو عدم اعتبار سارتر للجماعة ، فأورست يقوم بالفعل وحيداً ويقرر حريته وحيداً ، فقط يشير للجماعة إلى طريق خلاصهم بمسئولية تقرير مصائرهم بأنفسهم.

وفي كتاب "سارتر بقلمه" يحاول سارتر تفسير النهاية فيقول: "إننا نحارب الألمان لكن هذا لا يعطينا أي حق بالنسبة للحقبة التي ستلي الحرب"

obeikan.com

(جانسون ، 1967 ، 46). بجانب ذلك فإن كتابه مسرحية في ظل الاحتلال تمجيد لموقف المناضلين كان يقتضيه أن يرجع إلى أسطورة قديمة ليضمن تحولا مناسبًا لموضوعه. وأضاف سارتر "من الواضح أنه لم يحدث بالصدفة أنني اخترت تلك الأسطورة بالذات ، واستطيع بسهولة وقد اخترتها أن اخترع نهاية مختلفة فربما كان في استطاعة أورست مثلا أن يظل بين شعب أرجوس في دور المواطن العادي يعمل معهم على تكوين نظام سياسي رائع" (جانسون ، 1967 ، 47 ، 48).

ورغم عدم اعتراف سارتر بأي معايير وقواعد معدة مسبقة للحكم على الأخلاق ، فليس معنى ذلك بالضرورة . أن سارتر ينفي وجود معيار موضوعي لقياس السلوك: "إذ يقدم لنا معيار الأخلاق وهو "الاقتناع الصادق الأصيل" مقياسا لذلك ، وعكسه "سوء القصد أو خداع النفس" الذي يحكم على عمل صاحبه باللا أخلاقية" (*Lecherbonnier, 1972, 19-21*). يرى سارتر أن سوء الطوية أو الاعتقاد السيء هو اختيار شخصي للغاية وهو في كثير من الأحيان خيار جبان ويرى أنه لو أن المرء تعلم الاستفادة من حالة الوجود الأول دون الكذب على النفس والمجتمع ، أو الخضوع لما هو سائد. عندئذ تكون قيم المجتمع معبر له ويكون هناك تقدير جيد للإبداع ، والقدرات الخلاقة *(Gordon& 1996 , 241)*

ومعنى ذلك كما يقول القصاص: "أنه إذا كان الإنسان حرًا مستقلا في وضع مبادئه الخلقية ، خالقا لقيمه ، فإنه يحق لنا أن نسأل عن أمر واحد ، وهو ما إذا كان صادقًا مع نفسه في اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، مما يخلع قيمة على اختياره وإلا كانت قيمه غير حقيقية ولا أصيلة ، بل كأنها غير موجودة في الواقع (القصاص 1967 ، 4).

وكـان لسـارتر موقـف نقـدي مـن التربيـة في فرنسـا ، وكيـف كانـت تشـيىء الإنسان والظواهر معًا ، فمن منظور سارتر عن معيار الفعل الأخلاقي ناقش هذه القضية في المجال التربوي حيث قرر أن: " سوء النية أو الطوية موجود في المواقف التعليمية فمعظم الطلاب يجدون أنفسهم معرضون له. وكثير من المؤسسات لا تسمح إلا بالتساؤل الزائف الذي يدعم أشخاص ومؤسسات في السلطة يمتلكون المعرفة والأفضلية في التطور، من بينها المؤسسات التعليمية... ومن الواضح أن الأفراد هم الذين يقبلون التشيؤ كأن يكونوا بضائع تباع وتشترى (الطابع المادي للمؤسسات) والحقيقة أن الاعتقاد السيئ أو خداع النفس هو تضحية بحرية الأفراد (ذبح حريتهم والتضحية بها) وقرروا العيش وكأنها وجود نسبى. ويتمثل دورهم الرئيسي في المحافظة على هذه المؤسسة وهذا ما يدعم انتشار الاعتقاد السيئ "(*Gordon & Gordon, 1996,242*) فتحولت المؤسسات إلى كونها هدف وأصبح الإنسان هو الوسيلة (تشيؤ) بدلا من العكس حيث تكون المؤسسة وسيلة لتسير حياة الأفراد في المجتمع. وهنا يلتقي سارتر مع الفكر الماركسيي في نقد الرأسمالية في تكريسها لتشيؤ الإنسان ومن ثم اغترابه.

كما يرى أن: " الكفاح ضد الاعتقاد الخاطئ أو سوء النية في الفصول الدراسية ، يستوجب مربي يقدم منهجا جيدا ، ومتسائل شجاع يقلل من الاعتقادات الخاطئة لدى المتعلم...على العكس المعلم المتخاذل لن يكون لديه تحد مواجهة لعنة سوء النية تلك التي تهيمن على معظم المؤسسات والتفاعلات في المجتمع" (*Gordon & Gordon, 1996, 244*).

Obeikan.com

وتأسيسًا على ما سبق يتأكد دور التربية وخاصة المدرسة من خلال المعلم "**المربي**" في تشكيل أخلاق المقاومة. إذ عول عليه النجاح أو الإخفاق فيما يتعلق بنقطة الاعتقاد الخاطئ أو سوء النية في العمل التعليمي وما يترتب عليه من أخلاقيات. **ومن خلال ما تقدم يمكن استنباط بعض أخلاق المقاومة كما تتضح في فكر سارتر:**

أ- المقاومة تفعيل لإرادة إنسانية ضد إرادة إنسانية أخرى ظالمة ومستبدة.

ب- المقاومة ليست مجرد فكر وتأمل فقط ، بل أيضا فعل أخلاقي منوط بالإنسان ، يتأكد في مسيرة تأكيده لذاته الحرة.

ت- رفض تشيؤ الإنسان وذبح حريته.

ث- نبذ الخوف والتخاذل.

ج- المقاومة من أجل الحرية وليس للأطماع السياسية (فرجال المقاومة ليس بالضرورة هم صناع السياسة وأصحاب السلطة).

ح- الاستهداء والاكتشاف بالتجربة (تجربة الحرية) ، دون فرض أحكام مسبقة.

خ- معيار الأخلاق هو "الاقتناع الصادق الأصيل" بأن يكون الإنسان صادقا مع نفسه في اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، مما يخلع قيمة على اختياره ، والبعد عن خداع النفس (سوء الطوية).

وتلعب التربية دور كبير في ترسيخ هذه الأخلاق ، بامتلاك إرادة المقاومة باكتشاف العقبات التي تحول دون الحرية والالتزام والمسئولية.

obeikan.com